الأبوة والأمومة من المنظور النفسي الاجتماعي

Parenting from a psychosocial perspective

تاريخ الاستلام : 2019/07/12 ؛ تاريخ القبول : 2021/12/19

ملخص

يتطلب النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي للطفل مجموعة من المهارات الّتي يجب توفرها عند الأبوين. ولذلك من خلال هذا المقال سوف نوضح أهمية الأبوة والأمومة في حياة الطّفل، وكذا طبيعة الممارسات الّتي يجب تبنيها من قبل الأبوين في كلّ مرحلة من مراحل نمو الطفل، خاصة وأنّ هذه الممارسات التربوية لها علاقة وطيدة بمدى اكتساب الطفل للمهارات الاجتماعية وبنموه السّوي.

الكلمات المفتاحية: الأبوة ؛ الأمومة ؛ الطفل ؛ مراحل النمو ؛ المهارات الاجتماعية.

د. إيمان بوكراع

جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر.

Abstract

The psychological, social and moral development of a child requires a set of skills that parents must use. Therefore, in this article we will make clear the importance of parenting in the child's life, as well as the nature of the practices that must be adopted by the parents at each stage of the child's development, especially as these educational practices have a strong relationship with the extent of the child's acquisition of social skills and normal growth.

Keywords: Parenting ; Maternity ; Growth Stages ; Social skills ; Child.

Résumé

Le développement psychologique, social et moral d'un enfant nécessite un ensemble de compétences que les parents doivent posséder. Ainsi dans cet article, nous expliquerons l'importance de la parentalité dans la vie de l'enfant ainsi que la nature des pratiques qui doivent être adoptées par les parents à chaque stade du développement de l'enfant, surtout si ces pratiques éducatives sont étroitement liées à l'acquisition de compétences sociales et au développement normal.

Mots clés: La parentalité ; l'enfant ; les stades de développement ; les compétences sociales.

* Corresponding author, e-mail: I.boukraa@mail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2021.

I. مقدمة

إنّ تحول الإنسان من الطبيعة البيولوجية الّتي يولد عليها إلى الطبيعة الاجتماعية، يكون من خلال التربية الأسرية والتنشئة الاجتماعية. هاتان الوظيفتان تضمنها الأسرة بشكل أوّلي وأساسي بحيث يحاول الأبوان ضمان تربية الطفل وتنشئته بشكل يتوافق مع ما يتطلبه المجتمع. فتبدأ الوظيفة الأبوية عند ولادة الطفل بحيث تتطلب من الأبوين مجموعة من الممارسات والسّلوكيات الّتي من شأنّها مساعدة هذا الطفل على النّمو السّوي.

"وبذلك يمكن اعتبار التّنشئة الاجتماعية واحدة من بين الوظائف الرّئيسية للأسرة، أكثر من المدرسة، فالأسرة هي الّتي تنقل القيم الأساسية للمجتمع. يحدّد « Annick Percheron » أربع مجالات كبرى لنقل القيم : (cité par : Montoussé & Renouard, 2006, p. 79)

- المجال الأوّل الخاص بنقل القيم المرتبطة بالعمل أو الوظيفة، فانتقال المهنة من الأب إلى الابن أصبحت أقل آلية ممّا كانت عليه سابقا، لكن الحراك الاجتماعي جعل من الانتماء إلى المجموعة الوظيفية أقوى وأكبر. ففي القديم كان هناك انتشار للأسر الزّراعية والأسر الحرفية أين يقوم الابن بتعلّم العمل من والده. هذا النّوع من الأسر أخذ في التضاؤل مع الوقت، وجعل من الأب يقوم بنقل قيم التّكافل مع مجموعة الوظيفة لابنه.
- السّلوكيات المنزلية والعلاقات الموجودة بين الجنسين تنقل أيضا على مستوى الأسرة، فالتّطور الّذي عرفه العالم جعل للمرأة مكانة أهم وأفضل في المجتمع وفي الأسرة، ممّا أدّى إلى تغيّر وظائفها الأسرية وأصبح لها دور أكثر أهمية نظرا لفعاليتها على المستوى الأسري من كلّ النّواحي.
- نقل المعتقدات الدّينية تعتبر أيضا من المهام التّقليدية الّتي تقوم بها الأسرة. هذا المجال يعتبره العديد من الباحثين من أهم الوظائف الأسرية القائمة بذاتها، لكنّها أيضا يمكن أن ترتبط بالتّنشئة الاجتماعية لأنّها تكتسب من خلال ما يقدّمه الأبوان من معايير وقيم وسلوكيات تخص الجانب الدّيني. إذا فكلّ ما يتعلّق بالجانب الدّيني هو كغيره من باقي السّلوكيات يتعلّمه الفرد تدريجيا ويتأثّر الطّفل بما يقدّمه الأبوان.
- القيم الخاصّة بالإيديولوجيات وبالآراء السّياسية تنتقل أيضا بسهولة من الأبوين إلى الأبناء.

كما أنّ التّنشئة الاجتماعية كوظيفة أسرية ترتبط أيضا بمدى اكتساب الطّفل للقيم الأخلاقية. فمن أهم وظائف الأسرة هي الحرص على تعلّم الطّفل واكتسابه للمعايير والسّلوكيات الأخلاقية، والّتي تقع تحت نطاق تعلّم السّلوكيات الاجتماعية الإيجابية والتميّز بالإيثار وحب الخير للآخرين والحرص على تفادي إيقاع الأذى بهم. كلّ ذلك ينطلق من خلال ما يقدّمه الأبوان عن طريق ممارساتهما ومن خلال النّماذج السّلوكية الّتي يقدّمانها لأطفالهما.

وبذلك يعتبر مصطلحا التنشئة الاجتماعية والتربية مترابطين، فالتّربية عند علماء الاجتماع تعني تقريبا مصطلح التّنشئة الاجتماعية. حسب « Piéron » التّربية عند علماء النفس هي عبارة عن "مجموعة وسائل المساعدة الموجّهة لنمو الطّفل" (cité par : Gayet, 2006, p. 8). ولذلك تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى المسؤولة عن هذه العملية وهي المكان الّذي تنشأ على مستواه العلاقات الأولية للطّفل. فهي تمنح الطّفل محيط عاطفي وانفعالي ضروري لكي يندمج ويطبق كلّ معارفه الجديدة

(Sinclair & Naud, 2005, p. 193). "الاندماج في الأسرة يعتبر أفضل تهيئة للاندماج في المجتمع ككل، الأسرة تلعب دور رئيسي في تشكيل الضّمير المعنوي وتمثّل العنصر الأساسي في نقل القيم " (Coslin, 2006, p. 10)، ومن هنا تتكون أهمية التربية الأسرية أو التربية الوالدية.

العديد من المصطلحات ترتبط بمفهوم التربية الأسرية والوالدية، فلا يمكن حصرها في مجموعة محددة من الأبعاد أو السلوكيات أو الاتجاهات. ولكن يمكن التأكيد على التّربية الأسرية تتمثل بصفة كلاسيكية في "النّشاط الّذي يتركّز على تربية طفل أو مجموعة من الأطفال داخل المجموعات العائلية، من قبل راشد، أو من قبل الأبوين للأطفال المعنيين" (Durning, 2006, p. 45). من بين أهم المصطلحات المتعلقة بمفهوم التربية الأسرية ما يعرف بالأبوة والأمومة « la parentalité ». لكن ما المقصود بالأبوة والأمومة؟ وما هي الممارسات السوية الّتي على الأبوين تبنيها خلال مراحل النمو المختلفة للطفل لضمان نموه السوي؟ كيف يمكن للأبوة أن تؤثر على اكتساب الأبناء للمهارات الاجتماعية؟

II. الأبوة والأمومة:

أن تكون أب (أو أم) يعني أن تكون الشّخص الّذي يساعد الطّفل على الانتقال، أي الشّخص الّذي يرافقه من العالم الدّاخلي الموجود فيه إلى العالم الخارجي، بمعنى إخراجه إلى الواقع. "فنّ الأبوة يكون بأخذ الطّفل إلى هذا الواقع من خلال مجموعة من الميّزات العاطفية، التربوية والثقافية الّتي تمكنه من الاندماج – في أحسن الظّروف – في المجتمع الّذي سوف يعيش فيه" (Aubert, 2001, p. 30). الأبوة والأمومة إذا تقوم على الرّعاية وعلى الاهتمام بالأطفال ومن ثمّ تربيتهم وتنشئتهم حسب ما يتطلبه النّسق الاجتماعي الّذين ينتمون إليه. بعض الباحثين مثل « Benedek » يرون أنّ الأبوة والأمومة هي مرحلة من مراحل النّمو النّفسي الّتي يمرّ بها الفرد (Demick, 2002, p. 391)، هذا ما هو تعبير عن أهمية هذه المرحلة في حياة الإنسان، فهي لا تؤثر على الطفل فقط بل تؤثر على الأبوين وتزيد من نضجهما النفسي والاجتماعي والعاطفي.

"الأمومة تنتج، حسب التّيار البيولوجي، عن مجموعة من التّغيّرات التّي تحدث داخل جسم المرأة عند الحمل والّتي ترتبط بمستويات الهرمونات. هذه التّغيّرات تحدث عند كلّ النّساء دون استثناء – مهما كانت طبيعة الثّقافة – وتؤثّر على سلوكياتهن، فتصبح الأم تشعر بمسؤولية أكثر اتجاه الطّفل ورعايته وإطعامه، وحمايته... كلّ ذلك يعطي الأمومة بعدا عالميا، لأنّها لا تميّز منطقة في العالم دون غيرها من مناطق العالم" (Corter & Fleming, 2002).

عالمية الأبوة والأمومة يمكن التّنبؤ بها قبل مجيء الأطفال أي قبل الولادة. فقد أثبتت الأبحاث والدّراسات في هذا المجال أنّ الآباء والأمّهات الفعّالين، وغير الحصريين، والمرنين في حلّ المشاكل، الّذين يتميّزون بالدّعم المتبادل خاصّة بين الشّركاء – أو الأزواج – والقادرين على المحافظة على استقلاليتهم وتقديرهم لذواتهم، هم يكونون قادرين أيضا على توفير البيئة الأبوية الأفضل. تكون الأبوة أفضل عندما تكون مستجيبة لاحتياجات الطّفل، من خلال التّشجيع على الاستقلالية وتعريضه للتّجارب المعرفية. كما أنّ هذه الخصائص إذا ما توفرت في الأبوين قبل ميلاد الطّفل فإنّها تعزّز الشعور بالأمن، والاستقلالية والدّافعية للعمل عنده. هذا التّطور الّذي يعرفه الطّفل أثناء نموه ظهر أنّه مرتبط بتحصيل دراسي عالي وعدوانية أقل وذلك ابتداء من رياض الأطفال. خاصّة وأنّ الدّافعية للتّعلّم وتعديل العدوانية تعتبر حاسمة في التّعلّم فيما بعد وفي النّمو الاجتماعي (Heinicke, 2002, p. 385).

1. الأمومة:

تلعب الأم دورا فعّالا جدّا وضروري للنّمو الصّحي والمتجانس للطّفل هذا ما أثبتته العديد من الأبحاث. قبل ثمانمائة سنة، قام « Fredrick » الثّاني إمبراطور روماني بإجراء تجربة على الأطفال الرّضع بهدف التّعرّف على اللّغة الطبيعية الّتي سوف يتحدّث بها هؤلاء الأطفال من تلقاء أنفسهم وبشكل فطري. لذلك قام بأخذ مجموعة من الأطفال الرّضع وقام بوضعهم في مركز رعاية أين تقوم بعض المربيات والممرضات برعايتهم من خلال إطعامهم وضمان نظافتهم وتوفير كافة حاجياتهم، لكن كانت لديهم أوامر بأن لا يتحدّثوا إليهم بأي لغة كانت. بطبيعة الحال « Fredrick » لم يتمكّن من التّعرف على هذه اللّغة الطّبيعية الّتي يمكن أن يتحدّث بها هؤلاء الرّضع، ذلك لأنّ نتائج تجربته تمثلت في موت جميع الأطفال الرّضع نظرا لغياب الأمّهات. حيث أنّهم لم يتمكنوا من العيش دون الإحساس باللّمسات، أو من دون رؤية الابتسامات وتبادل العواطف والانفعالات، أو الإحساس بالحب وسماع كلمات الأم. الأطفال الرّضع أصبحوا منسحبين، مكتئبين الأمر الّذي تسبب في موتهم (Barnard & Solchany, 2002, pp. 4-5). هذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الدّور والمكانة المهمة للأم في حياة الطّفل ليس فقط من ناحية الرّعاية، ولكن أيضا من ناحية الدّفء والعاطفة والدعم النفسي للطّفل نظرا لأهمية التّفاعلات الإنسانية الأولية في حياة الأفراد.

أعمال « Spitz » (1946) دعمت ضرورة وجود تفاعل إنساني بين الرّضيع وبين الأشخاص الّذين يقومون على رعايته نخصّ بالذّكر الأم، ذلك سواء لضمان نمو نفسي جيّد أو لضمان نمو عقلي واجتماعي أفضل خاصّة في السّنوات الأولى من حياة الرّضيع. وجود الأم يساعد الطّفل على تنمية مهاراته اللّغوية والمعرفية ويساعده على أن يكون في المستقبل فرد اجتماعي يتميّز بسلوكياته الإيجابية. وقد اتفق مجموعة من العلماء من بينهم « Freud » على أنّ الحرمان من الأم يمكن أن يؤدّي إلى أشكال مختلفة من الخلل الوظيفي عند الأطفال أو قد يؤدّي في حالات أخرى إلى الموت. هؤلاء الأطفال يظهرون خلل في النّمو والتّطور، ويظهرون خللا نفسيا وعقليا، كما قد تظهر عليهم مستويات من المرض وأيضا نسب مرتفعة من الوفيات (Barnard & Solchany, 2002, p. 5).

وقد أشار « Bowlby » إلى الأهمية الكبرى للعلاقة أم – طفل لضمان نمو عقلي صحي للطّفل ومن أجل الإحساس بالرّاحة للطّرفين. فهو لا يرى بأنّ الأمومة ضرورية فقط للرّضيع أي في نموّه في هذه الفترة المحدّدة وإنّما يرى أنّها ضرورية لاكتسابه المهارات الضّرورية للمستقبل.

وبذلك يمكن القول أنّ للأم دور فعال جدّا في حياة الطّفل انطلاقا من لحظاته الأولى إلى مراحل متقدّمة من نموه. فالممارسات الّتي تقوم بها الأمّهات من شأنها أن تؤثّر على سلوكيات الطّفل، فالتّفاعلات الأولى بين الأم ورضيعها لها أهمية كبرى لضمان النّمو المتجانس للطّفل. الرّعاية الّتي تتمثّل في إطعام الرّضيع ورعايته من ناحية النّظافة واللّباس ليست بأهمية اللّمسات والكلام والانفعالات الّتي تحدث بينهما خاصة من الناحية النفسية. كما أنّ دور الأم لا ينحصر فقط في السّنوات الأولى إنّما يمتد إلى سنوات متقدّمة من عمر الطّفل من خلال الممارسات التّربوية والاجتماعية والثّقافية الّتي تقوم بها الأمهات لتنمية القدرات المعرفية للطّفل وتطوير مهاراته الاجتماعية. التّفاعلات الّتي تكون بين الأم والطّفل تساعد على تنمية الإحساس بالتّعاطف عند الطّفل، ما يؤدّي بدوره إلى نمو أخلاقي وقيمي جيّد لديه وتطور الإحساس لديه بالآخرين.

2. الأبوة:

الأب أيضا لديه دور مهم في حياة أطفاله، بالنّسبة للرّعاية فالأم هي الّتي تأخذ الدّور الأكبر في الاهتمام بالأطفال خاصّة إذا كان الأب يعمل خارج المنزل وكانت الأم ماكثة في المنزل. فالأم تكون متواجدة غالبا قرب الطّفل، بينما الأب يتمثّل دوره خاصة في الرّعاية المادية وتوفير المكان المناسب للعيش والحاجيات المناسبة لنمو هذا الطّفل. وبذلك دور الأب يتمثّل في جزء أساسي في الدّعم المادي للأسرة، لكنّه ليس الحال في كلّ العائلات نظرا للعديد من الظروف والاعتبارات. يمكن أن يظهر دور الأب من خلال السلطة الأبوية المتمثلة في التّحكم الأبوي وعن طريق الدّعم الّذي يظهر على شكل تفاعلات أب – طفل، هذا ما يحدد مدى تواجد الأب في حياة طفله ومشاركته فيها وهو ما يعرف بالالتزام، وباللّغة الفرنسية يطلق عليه مصطلح «L'engagement» أمّا اللّغة الانجليزية فيعرف بمصطلح «Involvement».

إذا "فوظيفة الأب السّيكولوجية ليست أقل أهمية من وظيفة الأم، إذا كانت الأم تحوز الحب وتنشره فإنّ الأب يحوز السّلطة ويمثّل القانون. فالاثنان يتكاملان تكاملا ناجحا، وغياب احد القطبين المرجعيين يحتمل أن يزرع الاضطراب في التّوازن الوجداني لدى الطّفل" (سيلامي، 2000، ص. 29).

كما يرى « Lamb » وآخرون (1987) أنّ التزام الأب يكون متميّز بثلاث صيرورات: التّفاعل والحضور والمسؤولية. "فالتّفاعل عند الآباء يتمثّل في أن يكونوا على اتصال مباشر مع أطفالهم خلال فترة الرّعاية وأن يقوموا بالاشتراك في النّشاطات المتعلّقة بالطّفل. الحضور هو مصطلح مرتبط بمدى تواجد الأب في حياة ابنه الّذي يساعد على التّفاعل، كما يمكن أن يكون من خلال الوصول إلى الطّفل سواء عن طريق الاتصال المباشر أو من دون اتصال. المسؤولية – أو ما يعرف أيضا بالوظيفة المنزلية – تشير إلى الدّور الّذي يأخذه الأب في ضمان الاهتمام بالطّفل ورعايته والتّأكّد من أنّ كلّ متطلبات الطّفل متوفرة ومتاحة (Parke, 2002, p. 29).

هذا ما أظهر وعزّز أهمية الدّور الّذي يلعبه الأب في حياة الطّفل، ففي فترات سابقة كانت تعطى الأهمية الكبرى دائما للدور الّذي تتقلده الأم. حيث أنّ مشاركة الأب في حياة الطّفل تعتبر من بين المحدّدات المهمّة في تطور سلوك الطّفل، ذلك خاصّة من خلال النّشاطات الّتي يقوم بها الأب مع ابنه. على الرّغم من أهمية دور الأب في حياة الطّفل إلّا أنّ "الدّراسات أوضحت أنّ مشاركة الآباء في الاعتناء بالأطفال تبقى ضعيفة، وتطور الأدوار الأبوية يبقى بطيء" (Hurstel, 1997, p. 412). إذا فدور الأب في الحياة الفعلية يكاد لا يتعدّى الرعاية المادية الإعالة الاقتصادية للأسرة، وتغيب في ممارسات الآباء الرعاية النفسية والعاطفية للأبناء.

وقد حاولت العديد من الدّراسات أن تدرس تأثير عمل الأبوين على الأبوة والأمومة وعلى نمو الطّفل، خاصّة في حالة الأم العاملة لأنّ عملها ينقص من الوقت الّذي تقضيه مع طفلها. وقد خلصت هذه الأبحاث إلى أنّه لا يوجد علاقة مباشرة بين العمل وبين نمو الطّفل ولكن هناك علاقة بين البيئة الّتي تنتج عن عمل الأم وبين نمو الطّفل، العمل الّذي يسبب الإجهاد للمرأة يمكن أنّ يؤثّر على سلوكها كأم، الأمر الّذي يؤدّي إلى انعكاسات على نمو الطّفل، كما أنّ الشعور بتخلّي الأب أو الأم عن الدّور الأسري – أي عن الأبوة أو الأمومة – من خلال العمل خارج الأسرة يمكن أن يكون له تأثير على نمو الطّفل، بينما الشّعور بالرّاحة والرّضا والفعالية للآباء والأمّهات يؤدّي إلى أبوة وأمومة أكثر إيجابية اتجاه الطّفل (Gottfried, Gottfried, & Bathurst, 2002).

تأثير الأبوة والأمومة لا يكون فقط على الطّفل، وإنّما لها تأثير مزدوج ذو اتجاهين. فقد أثبتت الدّراسات أن يكون الفرد أبا أو أما يزيد من نموه ونضجه، حيث يزداد عنده حسّ المسؤولية والرّعاية الّتي يتطلبها وجود الطّفل. كما أثبتت هذه الدّراسات أنّ مخ الأم أو الأب الّذين ولد عندهما طفل ينمو ويزداد نشاطه أكثر خاصّة في الفص الجبهي، هذا الأخير هو المسؤول عن ضبط الانفعالات وعن التّفكير المعمّق قبل القيام بأي سلوك، أي أنّ الأبوة والأمومة تجعل الأفراد أكثر نضجا وأكثر عقلانية.

III. الأبوة في مراحل النمو المختلفة:

1. الأبوة في مرحلة الرّضاعة (عند الرّضيع):

"تمتد هذه المرحلة من الولادة إلى غاية تعلّم اللّغة أي إلى غاية سنة ونصف أو سنتين من عمر الطّفل" (Bornstein, 2002, p. 4). العلاقات الأولية للطّفل مع محيطه مهمّة جدّا، حيث أنّ "جميع النّظريات النّفسية للنّمو تتفق مع إعطاء أهمية أساسية وبالغة للعلاقات الأولى التّي تنشأ بين الطّفل وبين والديه. هشاشة الطّفل تجعل منه تابع تماما لوسطه العائلي، سواء من ناحية الإطعام، أو من ناحية النّوم والحماية الجسدية (Cleas & al, 2008, p.10). "الآباء والأمّهات يقومون بقضاء الوقت مع أطفالهم الرّضع أكثر مرّتين من قضائهم معه في مرحلة الطّفولة الوسطى. في الواقع، الأبوان والمربون هم المسؤولين عن أغلب – إن لم يكن كلّ – التّجارب المبكرة للرّضيع. فيعتبر الأبوان المسؤولين عن تحضير طفلهما للوضعيات الجسدية والاقتصادية والوضعيات النّفسية والاجتماعية الّتي يتمّ على مستواها النّمو، ممّا يجعل الأطفال الرّضع حسّاسين اتجاه أبائهم وأمّهاتهم. منذ السّن المبكرة، الرّضَع يتعرّفون ويفضلون رؤية وسماع أصوات وشمّ روائح الأشخاص الذّين يعتنون بهم، وخلال السّنة الأولى يقوم الطّفل بالتّعلّق بشكل عميق ومستمر على مدى الحياة بهؤلاء الأشخاص الّذين يكونون غالبا الأبوين" (Bornstein, 2002, p. 5).

فحسب ما جاءت به نظرية التّعلّق (l'attachement) لـ « Bowlby » (1979) "نوعية الرّوابط الأولية المتكونة بين الرّضيع ووالديه تكون محدّدة للعديد من جوانب نموّه في الطّفولة الأولى وعلى طول وجوده وحياته" (Cleas & al, 2008, p.10). "الأم هي الشّخص الأكثر أهمية في حياة الرّضيع، وهذا لا علاقة له بانتمائها الثّقافي. لكن طبيعة العلاقة بين الطّفل وأمّه تتأثّر بعدد معيّن من العوامل الخارجية التّي تفسّر تنوّع هذه العلاقة الأولية باختلاف الثّقافة" (Lazar, 2002, p. 137).

نظرية التّعلّق الّتي طورها « Bowlby » كانت نتيجة لمصدري الهام: أعماله الإكلينيكية الخاصّة باستخراج الدّور المهم لوجود أبوة ثابتة خلال مرحلة الطّفولة الأولى، بالإضافة إلى الأبحاث الّتي استهدفت العديد من الأجناس الحيوانية ومكّنت من ملاحظة وجود تنظيم سلوكي لديه هدف الحفاظ على القرب الجسدي بين الصغير الّذي ولد حديثا وبين والديه. نظام التّعلّق وما يعرف باللّغة الفرنسية بـ « le système d'attachement » يفعّل خاصّة عندما يفرّق الصّغير عن أمّه، هذه الوضعية تؤدّي إلى ظهور إحساس بالضّيق والصّراخ الّذي يوقظ عند الأم رد فعل يتمثّل في حماية الطّفل. هذا النّظام هو موجود عند كلّ الأطفال دون استثناء، يختلف فقط من حيث نوعه. كما أكّد « Bowlby » أنّ التّعلّق هو حقيقة معرفية وانفعالية الّتي سوف تؤّدي تدريجيا إلى بناء العالم العلائقي والانفعالي الخاص بالفرد والّذي يمكّن أيضا من التّكوين التّدريجي لمفهوم الذّات (Cleas & al, 2008, p.10).

يعتبر « Bowlby » أنّ التّعلّق هو عبارة عن حاجة أولية، مثل النّزوات في نظرية التّحليل النّفسي لـ « Freud ». كما اقترح أنّ الاضطرابات في التّعلّق يمكن

أنّ تكون عامل أساسي في الأمراض النّفسية، التّي تتميّز بالحصر الشّديد وغياب الثّقة في النّفس وفي العلاقات مع الآخرين (Inserm, 2005, p. 115).

دور الأبوين مهمّ جدّا وكبير في هذه المرحلة من عمر الطّفل، حيث أنّ الطّفل يقوم بتعلّم واكتساب العديد من المعارف. "ففي عامه الأوّل، يفهم ويعطي معنى للأشياء في هذا العالم، ويبدأ التّعبير الأوّل وقراءة انفعالات الإنسان، كما يبدأ أوّل مرّة بتطوير شخصيته ويطوّر الأساليب الاجتماعية ويكوّن أوّل روابطه الاجتماعية" (Bornstein, 2002, p. 8).

يكون نظام التّعلّق إمّا آمن وإمّا غير آمن، كلّ من هذين النّوعين له تأثيره على الطّفل وعلى اكتساب المهارة والسّلوكيات الاجتماعية المتكيّفة فيما بعد، كما أنّ نظام التّعلّق بصفة عامّة يرتبط بالعديد من جوانب نمو الطّفل. "عدم تمكّن الطّفل من تنظيم انفعالاته ومن التّحكّم في سلوكياته تضع الطّفل موضع خطر لحدوث خلل وظيفي نفسي" (Rubin & Burgess, 2002, p. 388)، هذا الخطر ينتج أساسا عن نوعية وطبيعة العلاقة المبكرة بين الأبوين والطفل.

حيث أنّ أبحاث إنزورث أكّدت أنّ "الآباء الذين استجابوا بكفاءة وبحساسية لإشارات أبناءهم، شكّل أبناؤهم في السّنة الأولى من عمرهم تعلّق آمن وفي المواقف المنزلية كان بكاؤهم أقل واستقلاليتهم أكثر، وظهر عليهم أنّه نمى لديهم شعور بحصولهم على انتباه الآباء عند الضّرورة، ولذلك فإنّ بإمكانهم الاسترخاء والاستكشاف، هؤلاء الأطفال بالتّأكيد يعرفون أين يجدوا الآباء. فنظام التعلق لديهم من القوة بحيث أنّه لا يمكن غلقه بالكامل، وحتّى في المواقف الجديدة فإنّهم لا ينزعجون كثيرا حول وجود الأم، وبدلا من ذلك فإنّهم يستخدمونها كقاعدة أمن ينطلقون منها للاستكشاف، إنّهم يغامرون بعيدا عنها ليبحثوا فيما حولهم، ومع ذلك فهم يعيدون النّظر السّريع للخلف، وقد يعودون إليها من وقت إلى آخر، ثمّ يستأنفون بسرعة مغامراتهم قدما مرّة أخرى، والصورة كما عرضها « Bowlby » توازن سعيد بين الاستكشاف والتّعلّق" (كرين، 1996، صفحة 82).

هنالك علاقة بين نظام التّعلّق الآمن وبين اكتساب الطّفل للمهارة الاجتماعية، لأنّها "تجعل الطّفل يحسّ بالثّقة في النّفس والضّمان عند دخوله في وضعيات جديدة، وهذا الإحساس بالأمان يجعله نشيط في استكشاف محيطه الاجتماعي وبالتّالي إقامة علاقات اجتماعية مع الأقران. من خلال اللّعب مع هؤلاء، الطّفل يختبر تبادل الأفكار، والأدوار والأفعال. عن طريق المفاوضات الاجتماعية، الأحاديث والصّراعات مع الأقران، الطّفل يتعلّم ويفهم أفكار الغير، وعواطفهم، ودوافعهم ونواياهم. من خلال الفهم الاجتماعي الجديد، وبذلك الطّفل يصبح قادرا على التّفكير في عواقب سلوكياته الاجتماعية، ليس فقط على نفسه وإنّما على الآخرين أيضا. هذا النّمو في القدرات المعرفية الاجتماعية هو ما يؤدّي إلى إنتاج سلوكيات تنمّ عن المهارة الاجتماعية" (Rubin & Burgess, 2002, p. 389).

وبذلك يمكن التأكيد على أنّ نظام التّعلّق يلعب دور مهمّ جدّا في تحديد سلوكيات الطّفل، وعندما يكون هناك تعلّق آمن ذلك من شأنه أن يجعلّ الطّفل يكتسب وينمّي المهارات الاجتماعية. بينما نجد العكس عند الأطفال الّذين عرفوا ارتباط غير آمن، فهم يتميّزون غالبا بنقص في اكتساب المهارات الاجتماعية.

2. <u>الأبوة في مرحلة المشي:</u>

هذه المرحلة هي الفترة الممتدة بين سنّ السّنة والنّصف أو العامين وبين تقريبا الخمس سنوات. تتميّز هذه المرحلة بالنّمو السّريع للطّفل وحدوث العديد من التّغيرات. وفي هذه المرحلة هناك 6 مهارات أساسية ترتبط بنمو الطّفل، والّتي تعتبر شاملة

وعامة بمعنى أنّها تكون تقريبا عند جميع الأطفال. هذه المهارات هي:

- الاستقلالية والّتي تتمثّل في ظهور قدرات وإمكانيات عند الطّفل للقيام بالوظائف – جسدية أو نفسية كانت – بعيدا عن الآباء، وبداية التّحكم في المهارات اليومية البسيطة، مثل الأكل وتغيير الملابس والذّهاب إلى المرحاض، النّظافة الشّخصية، النّوم بعيدا عن الأم واللّعب دون مساعدة الكبار. يقوم الأبوان فقط بمساعدة الطفل على تعلّم بعض المهارات وإعطائه الحرية لتطبيقها لوحده.
- بداية ظهور مصطلح الذّات والتّفكير في الذّات، أي التّعرف على نفسه في المرآة، الوعي بالذّات كمصدر للأفعال، والأفكار، والكلمات، والمشاعر وبداية التّفكير في التّقييم الذّاتي. على الأبوين تشجيع الطّفل على اللّعب والتّفاعل مع الأشخاص والأشياء والألعاب من أجل مساعدته على التّعرّف على ذاته المستقلة عن الآخرين، ومن خلال إعطائه الحرية لفهم الأشياء والتّعرّف عليها لوحده والقيام ببعض المهام الصّغيرة، فكلّ ذلك يساعده على الوعي بذاته.
- السّيطرة على الانفعالات – أو تنظيم الانفعالات – وتتمثل في ظهور القدرات على التّنظيم العاطفي والسّلوكي والامتثال لتوقعات الآباء، وإظهار القدرة على الانتظار، والرّاحة الذّاتية، ومقاومة الإغراء، وتأجيل المتعة وإتباع القواعد والتّعليمات ولو ليس في حينها. فالأبوان هما اللّذان يقومان بشرح عواقب الانفعالات والسّلوكيات وأهمية التّعليمات الموضوعة بشكل مبسط لمساعدة الطّفل على الفهم.
- التّعاطف والأخلاق والقيم، بمعنى تطور قدرات الطّفل ليصبح فرد اجتماعي والأخذ بعين الاعتبار احتياجات ووجهات نظر الآخرين، وتعلم القواعد والمعايير، مع الشّعور بالضّيق والقلق عند انتهاك هذه المعايير.
- الهوية الجنسية والتّعرّف على الأدوار الجنسية، بمعنى تطور القدرة على تسمية جنسه الخاص وإمكانية تحديد الجنس الخاص بالأفراد الآخرين، وبذلك التّعرّف على السّلوكيات الملائمة لكلا الجنسين في مختلف الأعمار، واستيعاب ثبات الجنس على مرّ الزّمن، كما يفضّل تقليد الجنس الّذي ينتمي إليه. بما أنّ لغة الطّفل في هذه السّن تتطور بسرعة، فالأبوان يقومان بتعليم طفلهما كيفية نطق الكلمات بالإضافة إلى تصحيح الأسماء خاصّة تلك الّتي لها علاقة بالجنسين إلى أن يتمكّن الطّفل من التّفريق الجيد بين الذّكور والإناث.
- يصبح على اتصال بأفراد آخرين ويشكّل فردا من المجتمع، من خلال إقامة علاقات مغلقة أي تكون له مكانة على مستوى العائلة الكبيرة التّي ينتمي إليها من خلال صلة القرابة، تعلّم التّفاعل الاجتماعي الملائم داخل مجموعات الأقران في العديد من المجالات، التعلّم والتّعليم، والسيطرة والمسؤولية، والاستقلالية، واللّعب وإقامة علاقات اجتماعية جيّدة.

من أجل اكتساب الطّفل لهذه المهارات ونموه بشكل متجانس يقوم الآباء بمساعدة أطفالهم من خلال الممارسات والتّفاعلات الّتي تحدث أثناء العلاقة أب - طفل. هذه المرحلة تتميّز بالنّمو السّريع للطّفل ولضمان نمو جيّد له وإكسابه العديد من المهارات المهمّة، للأبوين هنا دور مهم يتمثّل خاصّة في تشجيع الطّفل على الاستقلالية، وعلى إنشاء علاقات صداقة مع أقرانه، والثّقة في النّفس وتشجيعه أيضا على الانفرادية والاستقلال الانفعالي (Edwards & Liu, 2002, p. 47).

3. الأبوة في الطّفولة الوسطى:

هذه المرحلة تمتد من سنّ 5 سنوات إلى غاية 12 سنة. تتميّز هذه المرحلة بنمو سريع وحدوث تغيرات كثيرة للطّفل. من بين التّغيرات الّتي تحدث نجد نمو الجانب المعرفي وزيادة الكفاءات المعرفية، حيث أنّ الطّفل في هذه المرحلة تكون لديه القدرة على التّصور المجرّد للأشياء والأحداث. الأطفال بين سن 5 و9 سنوات يكتسبون القدرة على التّفكير الفعّال فيما يتعلّق بالظّروف والمشاكل المعقدة. كما أنّ الأطفال في هذه المرحلة يبدؤون بتنظيم المهام بشكل أكثر نضج وأكثر استقلالية. ويقوم الطّفل أيضا بانتهاز الفرص من أجل اكتساب المعلومات، بالإضافة إلى استعمال المعارف الجديدة في التّفكير بمنطقية، وحلّ المشاكل.

التّغيرات الّتي تمسّ الكفاءات المعرفية للطّفل تتطلب من الآباء تعديلات فيما يخصّ مضمون المحادثات فهي من المفروض أن تكون أكثر تفصيلا ممّا مضى إذا أراد الآباء الإقناع، كما يجب التّغيير في استراتيجيات التّحكم والتّأثير على سلوكيات الطّفل، والتّوقعات الّتي يضعونها على مهارات الطّفل والتنظيم الذّاتي.

كما أنّه في هذه المرحلة من عمر الطّفل تكون علاقاته الاجتماعية متنوعة ومتعدّدة، لأنّها لا تنحصر في المجال الأسري مع الآباء والأقارب، إنّما تتعداه إلى الأقران. فينشأ الطّفل في مثل هذا السّن علاقات مع غيره من الأطفال وهذا ما يساعده على تكوين شبكة اجتماعية خاصّة به. فدخول الطّفل إلى العالم الدّراسي يساهم في تفاعله مع غيره من الأقران داخل المدرسة. في هذه الحالة يقوم الطّفل بتطوير العديد من المهارات ومن المهام من أجل تسيير علاقاته مع الآخرين. دور الآباء في هذه الحالة يكون عن بعد، من خلال معرفة طبيعة الصّداقات الّتي ينشئها الطّفل ومعرفة الأنشطة الّتي يقوم بها بما أنّها خارج النّطاق الأسري لتقديم الدّعم الكافي له في حال حاجته إليه.

العلاقة أب – طفل في هذه المرحلة تشهد تحولات، حيث أنّ الوقت الّذي كان يقضيه الأبوين مع طفلها يقلّ وينقص بشكل كبير وملحوظ بالمقارنة مع المراحل السّابقة من الطّفولة. كما أنّ الأبوين يغيّران من بعض ممارساتهما التّربوية لتتناسب وعمر الطّفل. فهما يسعيان إلى حرمان الطّفل من بعض الميّزات في حالة قيامه بتصرّفات خاطئة وغير مقبولة، أو من خلال تذكيره بتقديره لذاته وأيضا عن طريق حسّ الفكاهة، كما قد يقوم الأبوان بجعل الطّفل يحسّ بالذّنب أو من خلال جعله يدرك بأنّه المسؤول الوحيد عن أفعاله. كلّ تلك التّصرفات الّتي يقوم بها الأبوان تكون من أجل فرض النّظام من خلال تحمّل وفهم الطّفل لأفعاله الخاطئة (Collins & al, 2002, pp. 81-82). فالطفل وفي بداية دخوله إلى المراهقة يحتاج إلى الدّعم أكثر من التّحكم ليتطور لديه الحس بالمسؤولية ولا يشعر بالضغط من قبل الأبوين، بل ما يحتاجه فعليا هو التحدّث مع والديه ومناقشة أفعاله معهما الأمر الّذي يزيد من وعيه ونموه المعرفي والاجتماعي والانفعالي ويمكّنه من تحمل عواقب أفعاله مهما كانت طبيعتها والتّعلّم من تجاربه الشّخصية.

4. الأبوة في المراهقة:

المراهقة من مراحل النّمو المهمّة في الحياة فهي مرحلة انتقالية بين الطّفولة وسنّ الرّشد. المراهق يشهد العديد من التّغيرات الجسمية السّريعة، فهذه المرحلة تتميّز بالبلوغ. كما أنّه يشهد العديد من التّغيرات الأخرى خاصّة ذات الطابع الاجتماعي، وذلك نتيجة لانتقاله من وضعية طفل إلى وضعية راشد. يرغب المراهق عادة في الاستقلالية عن والديه، فالهوية السليمة يمكن أن تتطوّر عند العائلات الّتي تشجع المراهقين على أن يكونوا مرتبطين بوالدين وأنّ يعبّروا عن تفردهم، بمعنى أنّه من

المهم وجود توازن بين استقلالية المراهق وبين تواصله مع والديه. هنا على الأبوين تفهّم استقلالية الابن ومساعدته من خلال المناقشات والحوار والتّفسير من أجل مساعدته على تعديل أفكاره.

بالإضافة إلى أنّ "المراهقين الّذين يشعرون أنّ هناك قرب بينهم وبين والديهم وأنّ هناك تجانس في علاقاتهم، تكون لديهم نتائج مرتفعة بالمقارنة مع أقرانهم من حيث نموهم النّفسي والاجتماعي بما في ذلك الاعتماد على النّفس، تطوّر في المهارات السّلوكية والمهارات المدرسية، والشّعور بالرّاحة النّفسية بما في ذلك تقدير ذات عالي. كما يظهرون مستويات منخفضة من المشاكل النّفسية والاجتماعية. علاقة مراهق – أب/أم المتجانسة تساعد على التّقليل من الصّراعات الّتي قد تنشأ بينهما" (Steinberg & Silk, 2002, pp. 121-122). بمعنى أنّ الأحاديث والمناقشات الّتي تتولّد أثناء التّفاعل بين الأبوين وبين المراهق قد تلعب دور مهم في إيجاد الرّاحة النّفسية لجميع الأطراف، بالإضافة إلى ظهور التّفهم المتبادل.

IV. <u>الأبوة والمهارات الاجتماعية:</u>

عندما يعاني الأفراد خاصّة الأطفال منهم مشاكل سلوكية يشار إلى إمكانية عدم اكتسابهم للمهارات الاجتماعية الأساسية. هذه المهارات هي الّتي تمكّن الفرد من الاندماج في المجتمع الّذي ينتمي إليه من خلال احترام مبادئه ومعاييره. "اكتساب المهارة الاجتماعية يلعب دور كبير في العديد من مجالات الحياة: في مجال النّظافة والصّحة ومدى تمكّن الفرد من الاعتناء بنفسه، في تسيير الدّخل والقدرة على التنظيم الاقتصادي، وتسيير تكوينه وتمدرسه، وتسيير عمله والتّحكّم في وقته، وتسيير حياته العائلية وعلاقاته بأفراد أسرته، تسيير محلّ إقامته وتسيير نشاطاته ووسائل ترفيهه" (Dutrénit, 1977, p. 181). بمعنى أنّ المهارة الاجتماعية تساعد الفرد على تسيير متطلبات حياته وتساعد على الاندماج والتّكيف مع محيطه من خلال التسيير الجيد لموارده ومتطلبات العيش.

بحيث تعرّف المهارة على أنّها "القدرة على توليد استجابات للمتطلبات وتنسيقها المرن والمتكيّف، بالإضافة إلى إيجاد واستغلال الفرص المتاحة في المحيط" (Waters & Sroufe, 1983)، إذا المهارة تمكّن الفرد من الاستجابة المتكيّفة لما يتطلّبه المحيط، واغتنام الفرص المتاحة أمّامه من خلال اختياره للاستجابة الملائمة من بين مجموعة من الاختيارات.

تظهر المهارة الاجتماعية في كيفية تلبية الطّفل لحاجياته وفي كيفية تفاعله مع الأقران ومع الرّاشدين وطبيعة العلاقات الّتي ينشؤها مع الآخرين. حيث أنّ الطّفل الّذي اكتسب المهارة الاجتماعية تتميّز علاقاته بالآخرين بالإيجابية وتكون ملائمة ومناسبة.

"لاحظ « Hartup » أنّ العلاقات مع الأقران تساهم وبشكل كبير في النّمو الاجتماعي والمعرفي وتمكّن من الوصول إلى الفعالية الّتي تظهر في سنّ الرّشد. كما أنّه صرّح أنّ أفضل مؤشّر للتّكيف من أجل أن يكون الفرد راشدا ليس المستوى الدّراسي ولا السّلوك في الصف، ولكن كيفية تصّرف الطّفل بطريقة مناسبة مع الآخرين. الأطفال الّذين يكونون عموما غير محبوبين، عدوانيين أو مضطربين، لا يتمكّنون من إقامة علاقات جيّدة مع أطفال آخرين ولم يتمكّنوا من أخذ مكانتهم بين الأقران، يكونون في تهديد جدّي. المخاطر تكون كبيرة: صحة عقلية هشّة، التّخلي عن الدّراسة، نتائج ضعيفة ومشاكل مدرسية أخرى وصعوبات في العمل" (McClellan & Katz, 2001).

كما تعرّف المهارة الاجتماعية عموما على أنّها "القدرة على تحقيق الأهداف

الشّخصية في التفاعلات الاجتماعية، في نفس الوقت امتلاك علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين ذلك مع مرور الوقت ومهما كانت الظّروف" (Rubin & Burgess, 2002, p. 386). إذن المهارة الاجتماعية تساعد الفرد على إقامة علاقات جيّدة (إيجابية) مع الآخرين وبالتّالي الاندماج في المجتمع الّذي ينتمي إليه. كما أنّ لها تأثير على المدى القصير وعلى المدى البعيد لحياة الفرد وهي تتجسد من خلال العديد من السّلوكيات الّتي يتبناها الطّفل أثناء تفاعلاته مع الآخرين.

ارتبطت المهارة الاجتماعية بالنّمو النّفسي الاجتماعي للطّفل، حيث أنّ قد يشار إليها أيضا بـ "الذّكاء الاجتماعي". فالطّفل الّذي اكتسب المهارة الاجتماعية يكون قادرا على الاندماج بين أقرانه، كما أنّه يكون قادر على تلبية احتياجاته والتّصرّف بإيجابية في مواقف اجتماعية محدّدة. كما قد يشار أيضا إلى المهارة بالفعالية (الفعالية في الحياة الاجتماعية).

من الباحثين الّذين درسوا المهارة الاجتماعية نجد « Hess » وأشار إلى أنّ المهارة بها مجموعتين من السّلوكيات (Oléron, et al., 1981, p. 29):

- تلك الّتي تتعلّق بالعلاقات الّتي تكون بين الأفراد أو بين المجموعات الصّغيرة، إنّها سلوكيات متعلّقة بالأشخاص.
- تلك المتعلّقة بالأنظمة، أي المؤسّسات والأنظمة الاجتماعية والسّياسية.

وجدت الدّراسات أنّ الطّفل الّذي يكون ودود ومتعاون ويحب الآخرين وناجح ولديه سلوك مقبول اجتماعيا مع مرور الوقت يعتبر ماهر اجتماعيا. المهارة السّلوكية الاجتماعية في الطّفولة تؤدّي إلى تقبّل الأقران ونجاح المراهق والرّاشد. من جهة أخرى إذا ظهر الطّفل غير ودود، أناني، وذو سلوك عدائي حتّى ولو كان موجّه إلى عدد قليل من الأفراد، فتعتبر هذه السّلوكيات غير مقبولة ويعتبر الطّفل غير ماهر اجتماعيا (Rubin & Burgess, p. 386 ,2002).

كما أنّ "الدراسات الحديثة أيضا أشارت إلى أنّ التّكيّف الاجتماعي والعاطفي طويل المدى للطّفل، وكذلك النّمو الأكاديمي والمعرفي وسلوك المواطنة تدعّم من خلال المناسبات المتكرّرة لتعزيز المهارة الاجتماعية خلال الطّفولة" (McClellan & Katz, 2001). وبذلك يمكن التأكيد على أنّ المهارة الاجتماعية ضرورية للنّمو النفسي الاجتماعي للطّفل، لكن كيف يتمكّن الطّفل من اكتساب هذه المهارة؟

ينطلق اكتساب وتعلّم المهارة الاجتماعية مبكّرا جدّا أي منذ الطّفولة، "لأنّ النّمو الاجتماعي ينطلق منذ الولادة ويتزايد بسرعة في سنوات ما قبل الدّراسة" (McClellan & Katz, 2001). مرحلة الطّفولة هي مرحلة مهمّة جدّا في النّمو الاجتماعي للطّفل خاصّة الطّفولة الأولى، خاصّة وأنّ الطّفل ومنذ ولادة ينمو في كنف أسرته.

يبدأ اكتساب الطّفل للمهارات الاجتماعية من الأسرة الّتي ينشأ فيها. فهي المؤسّسة الأولى الّتي ينشأ فيها الطّفل ويتعلّم على مستواها كلّ المهارات الأساسية الّتي تساعده ليكون فرد اجتماعي. يلعب الأبوان دور أساسي ومهم في اكتساب الطّفل للمهارة الاجتماعية، مدى اكتساب الطّفل لهذه المهارة يكون مرتبط بالمهارات التّربوية للأبوين. "خلال العشرون سنة ماضية، مجموعة من البراهين المقنعة جمّعت للإشارة إلى أنّه إذا لم يكتسب الطّفل قبل سنّ 6 سنوات المهارة الاجتماعية الأساسية فإنّه من المحتمل أنّ يواجه بشدّة صعوبات بأشكال مختلفة في سنّ الرّشد" (McClellan & Katz, 2001).

"فحسب « Hartup » (1985)، الأبوين يقدّمان على الأقل ثلاث وظائف لنمو

المهارة الاجتماعية للطّفل. أوّلا التّفاعل بينهما وبين الطفل هو السّياق الّذي تتطوّر فيه العديد من المهارات الضّرورية للتّفاعل الاجتماعي. هذا التّفاعل يجعل الطّفل يكتسب العديد من المهارات الّتي تساعده على المبادرة وإقامة علاقات إيجابية مع الآخرين، مثل المهارات اللّغوية والقدرة على التّحكّم في النّزوات. ثانيا العلاقة أبوان – طفل تشكّل مصدر عاطفي ومعرفي، الّذي يسمح للطّفل باستكشاف البيئة الاجتماعية وغير الاجتماعية. بل إنّه من الآمن إعطاء الطّفل الحرية ليتمكّن من معاينة العالم الاجتماعي، من أجل تعزيز تطور المهارات الخاصّة بمشكل – حل. ثالثا العلاقة أبوان – طفل المبكّرة تساعد الطّفل على فهم العلاقات خارج الإطار الأسري. فمن خلال هذه العلاقة يبدأ الطّفل في تطوير التّوقعات والافتراضات حول العلاقات الّتي قد ينشؤها مع الآخرين ويطوّر استراتيجيات لتحقيق أهداف شخصية واجتماعية" (Rubin & Burgess, 2002, p. 386).

العديد من النّظريات أشارت إلى العلاقة بين طبيعة العلاقة "أبوين – طفل" وبين النّمو الاجتماعي لهذا الأخير أي مدى اكتسابه للسّلوكيات الاجتماعية المتكيّفة وغير المتكيّفة. "تقريبا كلّ النّظريات النّفسية الّتي تتعامل مع النّمو الانفعالي والاجتماعي للطّفل بصفة عامّة، وبصفة خاصّة تلك المتعلّقة بنمو المهارة والسّلوكيات المتكيّفة أو بالمقابل السّلوكيات غير المتكيّفة وغياب المهارة (العدوانية مثلا والسّلوك الانسحابي)، تضع المسؤولية الأولية على العوامل والسّلوكيات الأبوية خاصّة نوعية العلاقة أبوين – طفل" (2002, p. 388). حيث أنّ أعمال « Baumrind » أظهرت أنّ المستويات العالية من المهارة عند الأطفال ترتبط بالنّمط الأبوي الدّيمقراطي (Teti & Candelaria, 2002, p. 157).

V. **الخاتمة**:

من خلال ما تم عرضه سابقا يمكن التأكيد على أنّ طبيعة العلاقة بين الطّفل ووالديه لها أثر بالغ على سلوكيات الطفل وعلى اكتسابه للمهارات الاجتماعية الضرورية. الأمر الّذي يتطلب من الأبوين ممارسات تربوية سليمة والمحافظة على علاقة آمنة مع الطفل. ممّا يعزز النمو النفسي والانفعالي والعاطفي والاجتماعي للطفل بحيث يكوّن علاقات جيدة وصحية مع الآخرين.

هذا ما يتطلب من الأبوين الانسجام مع كلّ مرحلة عمرية وأن تكون سلوكياتهما متناسبة مع احتياجات الطّفل في كلّ مرحلة من مراحل نموه، وتقديم الدعم والالتزام الضروريان لشعور الطفل بالرّاحة والأمان، كما عليها أنّ يظهرا مستويات مناسبة من التّحكم والسيطرة لتوجيه سلوكياته نحو ما يتطلبه المجتمع والنسق الثقافي الّذي ينتمي إليه. وبذلك يمكن اعتبار الأبوة والأمومة من المحددات الأساسية والمهمّة لطبيعة السّلوكيات الّتي يمكن يتبناها الأبناء سواء كانت سلبية أو إيجابية وسواء كانت في الحاضر أو في المستقبل. ويمكن تعزيز الأبوة والأمومة من خلال الممارسات التّربوية، وأفضلها للنمو المعرفي والنفسي والاجتماعي للطفل هي تلك الّتي تندرج ضمن الأسلوب التربوي الدّيمقراطي، وبذبك يمكن الوصول إلى الأهداف المبتغاة وضمان الدور الأمثل للأبوين.

بطبيعة الحال العديد من العوامل المختلفة يمكن أن تساهم في تحديد سلوكيات الأبناء، لكن تبقى أهم هذه العوامل هي الممارسات الأبوية الّتي أثبتت كافة الدّراسات النفسية على ضرورتها في حياة الطفل وعلى أهميتها في صقل السّلوك الإنساني ليتلاءم مع متطلبات الحياة الاجتماعية من خلال الفعالية الاجتماعية.

المراجع:

1. ويليام كرين. (1996). *نظريات النّمو مفاهيم وتطبيقات*. (محمد الأنصاري، المترجمون) الكويت: الجمعية الكويتية لتقدّم الطّفولة العربية.

2. Aubert, J.-L. (2001). *La violence dans les écoles*. Paris: Odile Jacob.

3. Barnard, K. E., & Solchany, J. E. (2002). *Mothering*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting Vol 3 : Being and Becoming a Parent* (pp. 3-26). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

4. Bornstein, M. H. (2002). *Parenting Infants*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting Volume 1 : Children and Parenting* (pp. 3-44). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

5. Corter, C. M., & Fleming, A. S. (2002). *Psychobiology of Maternal Behavior in Human Beings*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting vol 2: Biology and Ecology of Parenting* (pp. 141-181). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

6. Coslin, P. G. (2006). *Violences et incivilités au collège*. L'orientation scolaire et professionnelle, 1 - 17.

7. Demick, J. (2002). *Stages of Parental Development*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting vol 3: Being and Becoming a Parent* (pp. 389-413). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

8. Gottfried, A. E., Gottfried, A. W., & Bathurst, K. (2002). *Maternal and Dual-Earner Employment Status and Parenting*. Dans M. H. Bornstein*, Handbook of Parenting vol 2: Biology and Ecology of Parenting* (pp. 207-229). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

9. Heinicke, C. M. (2002). *The Transition to Parenting*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting vol 3: Being and Becoming a Parent* (pp. 363-387). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

10. Hurstel, F. (1997). *Identité masculine, inversion des rôles parentaux, fonction paternelle*. Enfance , 50 (3), 411 - 423.

11. Inserm. (2005). *Troubles de conduites chez l'enfant et l'adolescent*. Paris: Inserm.

12. Lazar, J. (2002). *La violence des jeunes*. France: Flammarion.

13. Montoussé, M., & Renouard, G. (2006). *100 fiches pour comprendre la sociologie*. Cananda: Bréal.

14. Parke, R. D. (2002). *Fathers and Families*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting vol 3 : Being and Becoming a Parent* (pp. 27-74). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

15. Pesant, M. (s.d.). *Le cycle de vie fmiliale utilisé comme cadre de référence dans l'étude des perceptions des problème sociaux et de santé les plus importants des familles nord-cotières et la planification de services adaptés à leurs besoins*. 565-580.

16. Rubin, K. H., & Burgess, K. B. (2002). Parents *of Aggressive and Withdrawn Children*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting Volume 1 : Children and Parenting* (pp. 383 - 417). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

17. Sinclair, F., & Naud, J. (2005). *Soutien social et émergence du sentiment d'efficacité parentale :une étude pilote de la. Santé mentale au Québec* , 30 (2), 193-208.

18. Steinberg, L., & Silk, J. S. (2002). *Parenting Adolescents*. Dans M. H. Bornstein, *Handbook of Parenting Volume 1 : Children and Parenting* (pp. 103-133). New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.